

شلبية لم يكف بنسف شعار الدولة الديمقراطية فقد اضاف للموضوع قوله ان « تجارب البلدان ذات القوميات المتعددة مثل قبرص والعراق والسودان قد اكدت استحالة تعايش تلك القوميات في دولة واحدة بينما يصبح تعايشها ممكنا جدا اذا اتبعت لكل قومية دولة خاصة » (ص ٥٦) .

وكما يسقط الكاتب شعار الدولة الديمقراطية يسقط كذلك شعار « التحرير من النهر الى البحر » ويتم المقاومة بأن رفعها لهذا الشعار « يعني ببساطة انها لم تستطع تقييم وزنها المحلي والعربي والدولي » (ص ٥٧) . ان هذا الكلام معروف بالادب السياسي تحت اسم الانهزامية العقلانية او الانهزامية الواقعية . اما نبوءة الكاتب بأن هذه الشعارات ستجعل المنظمات تلاقى نفس مصير الهيئة العربية العليا فهو دليل مهم غير ذكي للتاريخ ولتطور عقليات الشعوب وقياداتها . اما البديل عن الشعارات المذكورة فهو في رأي المؤلف « العمل الدبلوماسي ... والتخلص من امراض الستالينية والطفولة ... ومظاهر سيطرة عقلية الطبقة الوسطى » (ص ٥٧) . وهذا البديل لا يفهم منه شيء سوى عدم الايمان بالمقاومة وعدم فهم المكان الذي تحلته منذ ظهورها فلسطينيا وعربيا ودوليا . ان عملية انتقاء الاسلوب والتنظيم في العمل الفدائي عمل سبق وان قامت به المنظمات نفسها ضمن عملية النقد الذاتي التي تلت احداث ايلول ١٩٧٠ ولكن ابو شلبية يستنتج او يريد ان يستنتج امورا اخرى من هذه الانتقادات ، امورا تتماشى ضمنا مع نوعية التفكير التي مهد لها وشرحها في الفصل الاول من الكتاب . وللدلالة على هذه النوعية من التفكير نورد المثل التالي : يقول الكاتب في صفحة ٦٤ « ان الخطأ الاكبر للمقاومة هو رفض الخطوة المصرية التي خطاها الرئيس جمال عبدالناصر عندما وافق على مقترحات وليام روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية » (ص ٦٤) . ان ابو شلبية يلوم بأسف شديد المقاومة لعدم تأييدها مشروع روجرز لان حكومة مصر وعبدالناصر وافقا على المشروع . والظاهر ان ابو شلبية لم يقرأ بتمعن الفقرة في مشروع روجرز التي تشترط انتهاء العمل الفدائي كشرط اساسي لقيام حل امريكي للتضيق كما انه لم يلاحظ ان هنالك اختلافا كبيرا بين منطلق القبول بالحلول الامريكية للقضية الفلسطينية ومنطلق التحرير الذي يقوم عليه فكر

ايجاد حل « وامتداد الامور بشكل واسع وسريع الى الاوساط الشعبية ... وتمثل هذا الامتداد في ظهور المنظمات الفلسطينية » . واذا كان الكاتب هنا يستثني فتح استثناء متحمضا باعتبارها ظهرت قبل عام ١٩٦٧ فانه يفسر هذا الظهور « بالحياة القاسية التي عاشها الفلسطينيون » . ثم يوجه للمنظمات قائمة من الانتقادات والنصائح بأسلوب « لو ... وبلايت ... واذا لم ... » من مستوى ما ظهر من مقالات مطبوعة بسرعة في الصحافة العربية قبل وبعد ايلول ١٩٧٠ . ثم يعدد الكاتب اسباب ضعف المقاومة فيقول انها « انتهازية الدول العربية ... مخططات التصفية ... تدخل الانظمة واستغلالها للمنظمات ... سرعة انبثاق المنظمات وضيق الوقت المتاح لها » . ثم يستنتج من هذه المعجالة في تعداد الاسباب بأن المقاومة بقيت « تتأرجح بين أهداف غير واضحة ، وغير واقعية ، وجعلها بالتالي ترسو حول شعار خيالي يطالب بدولة « فلسطينية ديموقراطية للمسلمين واليهود والنصارى » ورفع شعار التحرير من النهر الى البحر ، وازالة الكيان الصهيوني ، والدولة اليهودية ، فوتمت بذلك في نفس الخطأ الذي وقعت فيه الهيئة العربية العليا (الفلسطينية) اثر اعلان قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ » (ص ٥٥) .

وفي تعرضه للدولة الديمقراطية يبدو ان الكاتب لم يوفق في فهم الشعار او فهم محتواه ، فهو يقول : « ان اقامة دولة فلسطينية واحدة للعرب واليهود يعني سيطرة الصهيونية على فلسطين كلها عسكريا واقتصاديا » (ص ٥٦) لان وراء يهود اسرائيل القوة العسكرية ويهود المعالم الاغنياء والثقافة والخبرة والتصنيع ، بينما ليس وراء الفلسطينيين سوى انظمة عربية متناهرة ومجتمعات نصف عشائرية ونصف اقطاعية (ص ٥٦) . وفي طرح المعادلة بهذا الشكل خطآن كبيران . الخطأ الاول هو الاعتقاد بأن اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية يمكن ان يتم دولة تحرير الارض الفلسطينية بأكملها ودون تغيير البنية السياسية والاقتصادية في اسرائيل والدول المحيطة بها ، والخطأ الثاني هو اعتقاد ابو شلبية ان اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية كما تطرحها المنظمات الفلسطينية هو مسألة تناهر او منافسة بين مجتمعات متأخرة واخرى متقدمة وبالتالي اعتبار اسرائيل نموذجا للدولة المتقدمة . والظاهر ان ابو